

لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَام

عناصر الموضوع

٢٤٠ تعريف بلوط عليه السلام

٢٤١ لوط مع ابراهيم عليهما السلام

٢٤٢ لوط عليه السلام مع قومه

٢٥٣ لوط عليه السلام مع زوجه

٢٥٤ لوط عليه السلام مع بناته

٢٥٥ لوط عليه السلام مع الملائكة

٢٦١ نجات لوط وبناته وهلاك امراته

٢٦٣ صنوف العذاب التي حلت بقوم لوط

٢٦٨ فوائد وعبر من قصة لوط عليه السلام

٢٧٧ أحكام متعلقة بالقصة

التعريف بلوط عليه السلام

لوط عليه السلام نبي من الأنبياء، الذين بعثهم الله عز وجل لهداية الناس وإصلاحهم، ولقد عاش في زمن الخليل إبراهيم عليه السلام، وذهب كثير من أهل العلم إلى أن لوطا عليه السلام: ابن أخي إبراهيم عليه السلام آمن به وهاجر معه فكان غراسا طيبا لدعوة إبراهيم عليه السلام^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَتُهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْتِثُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْفٍ فَرِيقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤].

فبعد الحديث عن رعاية الله لنبية إبراهيم عليه السلام ومنحه له جاء الحديث عن لوط عليه السلام وما وهبه الله من نعم وما حباه من رعاية، فقد آتاه آلة الحكم وهو الفصل بين الناس والتمييز بين الأمور والحكم عليها والعلم النافع الذي ينير لصاحبه ويرشده، فقد وهبه الله عقلا راجحا وفطرة نقية وبصيرة نافذة وميزانا قويما، وفي تنكير ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ مع التنوين تعظيم وتفخيم لهذه المنحة الربانية، فهو ثمرة طيبة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ونتاج طيب لغرسه المبارك، ولا أدل على حكمته وعلمه من عيشه وسط أولئك الغوغاء الشذاذ ينهامهم ويزجرهم عن فسوقهم وتماجنهم ويعظهم فلا يجد آذانا صاغية.

وقد جاء الحديث عن لوط في شجرة الأنبياء الواردة في سورة الأنعام تلك الشجرة المباركة التي تمتد إلى أرومة واحدة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهٖ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْنَ بِهَا بِكَفْرِيْنَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَفْتَدِيَهُمْ قَدْ لَأَشْتَلِكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٠].

فلقد هداهم الله واجتباهم وجعلهم ذرية طيبة بعضها من بعض، وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة، وجعلهم مصاييح هدى، تقتدي بها الإنسانية .

(١) انظر: الكشف، الزمخشري ٣/١٢٦، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/٣.

لوط مع إبراهيم عليهما السلام

يظل الأنبياء عليهم السلام على الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها، يحفظهم ربهم ويهديهم ويتعهدهم بالرعاية والتربية، فهذا لوطٌ عليه السلام ينشأ في مجتمع يسوده الكفر ويعمه الضلال، لكن الله تعالى يعصمه ويحفظه، فينشأ على التوحيد، في كنف عمه إبراهيم عليه السلام، ويعاين الآية الكبرى حين ألقوا به عليه السلام في النار فنجاه الله تعالى وجعلها بردا وسلاما فيزداد إيمانا وتسليما .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقال تعالى في سياق الحديث عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنبياء: ٧١].

والآية الأولى تبين انقياده واستجابته لعمه عليه السلام، آمن له أي: انقاد واستجاب عن إيمان ويقين، كذلك تعني الآية أنه آمن بنبوته واستجاب لدعوته وصدق برسالته مع إيمانه الفطري بالله تعالى وحده لا شريك له، وفي الآية الثانية بيان لنعمة الله عليه إذ أنجاه إلى الأرض المباركة، كما آمن به فقد هاجر معه من العراق إلى أرض الشام المباركة، وهي بيت المقدس وما حوله، فهي بركة للعالمين بما فيها من كنوز وخيرات، وبما فيها من عيون وأنهار، وزروع وثمار، مع خصب تربتها، ونقاء هوائها، وطيب العيش فيها، وبما سطع فيها من أنوار النبوات، مباركة بمن عاش على ثراها ودفن في تربتها من الأنبياء والصالحين، مباركة بشعبها الحر الأبي الذي ضرب ولا يزال أروع الأمثلة في الصبر والثبات والتضحية والفداء، والتصدي والتحدي للطغاة المستبدين .

هاجر لوط عليه السلام مع عمه إبراهيم إلى الشام، وهي الأرض المباركة، وظل لوطٌ في صحبة عمه إبراهيم - عليهما السلام - حتى استقر به المقام في قرية سدوم بالأردن، حيث أرسله الله إلى أهل هذه القرية^(١).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣/٢.

لوط عليه السلام مع قومه

أولاً: دعوته لقومه:

أرسل الله تعالى لوطا عليه السلام إلى قرية سدوم وما حولها، وقد راعه ما هم عليه من شذوذ وانحراف وجهالة وإسراف، فدعاهم إلى الله تعالى، وبدأ بالعقيدة، ثم عرج إلى الأخلاق والآداب.

ولقد جاء الحديث عن رسالة لوط عليه السلام في مواضع متفرقة.

قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦].

بدأت الآيات ببيان تكذيب قوم لوط عليه السلام للمرسلين، كذبوا لوطا عليه السلام كما كذبوا بمن سبقه من الرسل فالتكذيب فيهم متأصل، وبعض المفسرين يكتفي بقوله هنا مراعاة للفاصلة وتلك إجابة صائبة لكنها ليست كافية، وأقول: إن من كفر برسول فقد كفر بسائر الرسل، لأنها دعوة واحدة ورسالة واحدة، وإن كثر حملتها من الأنبياء والرسل، ولقد كذبوا بدعوات الرسل التي بلغتهم قبل إرسال لوط إليهم،

وحين جاءهم لوطٌ بادروا إلى تكذيبه .
حنتهم عليه السلام على تقوى الله عز وجل فهي سبيل كل خير والعصمة من كل شر، وبين لهم أنه مرسل من عند الله عز وجل، أمين في دعوته.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ لوط من بلاد العراق وهم في بلاد الشام والأخوة هنا هي أخوة المصاهرة، أو أخوة المواطنة لأنه عاش فيهم وتزوج منهم.

حث لوطٌ على تقوى الله تعالى، بهذا الأسلوب الرائع الذي ينم عن حرصه على هدايتهم، وإشفاقه عليهم، وترفقه بهم، كلمات تنسل من قلب يذوب كمدا ويتفطر لما على حال قومه.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أكد لهم رسالته وأمانته، فهو أمين في دعوته، أمين في نصحه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ لخص دعوته في هذين الأصلين العظيمين تقوى الله تعالى بالخوف منه واجتناب محارمه وامثال أوامره، وطاعة النبي فيما يدعوهم إليه من الخير والصلاح في دينهم وديارهم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ لا أنتظر منكم أجرا على دعوتي، لأن أجري على من أرسلني وهو رب العالمين، وفي هذا إعلان التجرد والإخلاص في هذه الدعوة، فهذه المهمة

الجليلة الثقيلة لم يتفاض عليها الأنبياء أجرا من البشر وإنما الأجر كله من الله الذي بعثهم.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]: يتركون نساء الدنيا كلها، ويضيعون على أنفسهم وقد وسع الله عليهم؛ ففي الحلال الطيب ما يسع الجميع، ودائرة الحلال واسعة، بينما اختاروا طريق الغواية والشذوذ.

وفي سورة الأعراف: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ آلِهِمُ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١].

أنكر عليهم إتيانهم لتلك الرذيلة المنكرة، التي لم يسبقهم إليها أحد والتي تدل على إسرافهم في الفساد وتماديهم في الفجور والانحلال، والتعبير بالفاحشة، لقبها واستهجانها وكونها من أفحش الكبائر وأشنع الذنوب إذ هي خروج عن الفطرة ومجافاة للطبيعة وشذوذ وانحراف، مع ما فيها من إفساد وأضرار، ونعى عليهم كونهم أول من ابتدعها.

قال ابن كثير: «بعث الله لوطا عليه السلام إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها؛ فلم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم - عليهم لعائن الله - قال الوليد بن عبد الملك -

قال أبو حيان الأندلسي: «والفاحشة هنا: إتيان ذكران الآدميين في أدبارهم، ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه ومركزا في العقول فحشه أتى معرفا بالألف واللام^(٢)، أو تكون (أل) فيه للجنس على سبيل المبالغة كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش»^(٣).

قال صاحب الظلال: «والإسراف الذي يدمغهم به لوط هو الإسراف في تجاوز

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٣.
(٢) وعلى هذا تكون ال للعهد الذهني.
(٣) البحر المحيط ٤/ ٣٣٢.

لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
جَاهِلُونَ ﴿٥٥﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٥].

أنكر عليهم لوط عليه السلام فعلهم لتلك الفاحشة مع علمهم بقبحها وشناعتها ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: تعلمون بقبحها، تبصرون ذلك بعقولكم وبصائركم، بل وحواسكم، وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يبصر بعضكم بعضا أي: ينظر إليه تلهذا واستمتماعا حيث كانوا يرتكبون الفاحشة في العلن، وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ آثار العصاة المنتهكين للحرمان ممن قبلكم فاعتبروا بهم.

﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَاهِلُونَ ﴿٥٥﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٥].

وصفهم بالجهل، والمقصود به هنا الجهل: ضد الحلم، وهو الطيش والسفه الذي يدفع صاحبه إلى ارتكاب هذا المنكر، دون إدراك لأخطاره أو تحسب لأضراره، كذلك الجهل المنافي للعلم؛ إذ لا يفعل هذه الموبقات إلا الجهال بخبرها وعاقبتها، أو نفي العلم عنهم وإن علموا بقبحها وسوء عاقبتها لأن علمهم لم ينفعهم ولم يدفعهم عن هذا الجرم، فأضحى لا قيمة له، فهو بمثابة الجهل.

وفي سورة العنكبوت يقول عز وجل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ

منهج الله الممثل في الفطرة السوية، والإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها، لأداء دورهم في امتداد البشرية ونمو الحياة، فإذا هم يريقونها ويبعثونها في غير موضع الإخصاب. فهي مجرد ﴿شَهْوَةٌ﴾ شاذ، لأن الله جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية. فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السنة، فهو الشذوذ إذن والانحراف والفساد الفطري، قبل أن يكون فساد الأخلاق ولا فرق في الحقيقة؛ فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق الفطرية، بلا انحراف ولا فساد. إن التكوين العضوي للأثنى - كالتكوين النفسي - هو الذي يحقق لذة الفطرة الصادقة للذكر في هذا الالتقاء، الذي لا يقصد به مجرد ﴿شَهْوَةٌ﴾ إنما هذه اللذة المصاحبة له رحمة من الله ونعمة، إذ يجعل القيام بتحقيق سنته ومشيتته في امتداد الحياة، مصحوبا بلذة تعادل مشقة التكليف! فأما التكوين العضوي للذكر - بالنسبة للذكر - فلا يمكن أن يحقق لذة للفطرة السليمة، بل إن شعور الاستقذار ليسبق، فيمنع مجرد الاتجاه عند الفطرة السليمة»^(١).

وفي سورة النمل يقول عز وجل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أَيُّكُمْ

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣١٥.

واعظ، ولا نصيحة من عاقل، وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلا ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ولا ندموا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلا فأخذهم الله أخذا ويلا^(١).

قال عبد الكريم الخطيب: «كانوا من الفجور وجفاف ماء الحياء من وجوههم، بحيث لا يجدون حرجا في أن يأتوا هذا المنكر علانية، وهم في مجتمعهم الذي يجتمعون فيه وهذا غاية ما يتردى فيه الإنسان، في طريق الانحدار إلى عالم الحيوان»^(٢).

وقد وصف قوم لوط بأوصاف ذميمة منها:

١. التكذيب.

قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَلِإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾^(٤٤) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ^(٤٥) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُومِنٌ قَامِلِيَّتٍ لِّلْكَافِرِينَ نَدَّرَ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ^(٤٦) [الحج: ٤٢ - ٤٤].

وفي سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤٧)، وفي سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾^(٤٨) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ^(٤٩) إِنَّ كُلَّ

مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ أَيُنَكِّمُ لَأَتُونَ الرَّجَالَ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٢٩].

أنكر عليه السلام على قومه تلك الفعلة المنكرة القبيحة التي لم يسبقهم إليها أحد، وهذا مما يزيد في شناعتها وقبحها كونهم أول من قارفها، وأول من سنها، كما أنكر عليهم قطعهم للسبيل على السابلة والمسافرين وترويعهم وسلب أموالهم وسفك دمائهم، ومجاهرتهم بالمنكرات في المجالس والنوادي دون خجل أو وجل، ودعاهم عليه السلام إلى عبادة الله عز وجل، والامثال لما أمر به واجتناب كل ما نهى عنه، وحذرهم من سخط الله تعالى، وأليم عقابه، فقابلوا تلك الدعوة الصادقة بالتكذيب والإعراض والسخرية والاضطهاد والعداء والإيذاء، والتهديد والوعيد.

وقال الإمام ابن كثير: «وكانوا مع ذلك - أي: مع إتيانهم الفاحشة - يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويأتون في ناديهم - وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم - المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه، حتى قيل: إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم، ولا يستحيون من مجالسهم، وربما وقعت منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يروعون لوعظ

(١) قصص الأنبياء ص ١٩٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٤/ ١٨٦.

إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ [ص: ١٢ - ١٤].

وفي سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي﴾ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا مَا لُوطٌ لَبَّيْتَهُمْ ﴿٣٤﴾ [القمر: ٣٣ - ٤٠].

كذبوا بنبي الله لوط عليه السلام وصدوا عن دعوته وجأهروا بالمعاصي مستحلين لها، واجتمعت كلمتهم على إخراج لوط وبناته لأنهم متطهرون، وكان التطهر جرم يعاقب صاحبه بالطرد والإبعاد، دون أن يلقوا بالآل بما عينوه من آياتٍ وقرع مسامعهم من نذر، ولا عجب فهذا منلق أهل الكفر والضلال في كل زمان.

٢. الإسراف.

قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ ﴿٨٠﴾ أَتَأْتُونَ الْفَتْحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النَّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨١].

«أي: متجاوزون لما حده الله متجرتون على محارمه»^(١) وإسرافهم بإتيان تلك الفاحشة من مجاوزة الحد وإهدار الطاقات وتبديد الأوقات، وإذا كان الإسراف في المباح مذموم فما بالك بمن يسرف في الحرام! والتعبير باسم الفاعل؛ لبيان ملازمتهم للإسراف فهو طبعهم وحالهم لا

ينفك عنهم.
٣. الجهل.

قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النَّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

قال الرازي رحمه الله: «تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها»^(٢).

وقال عبد الكريم الخطيب: «وانظر كيف تبلغ السفاهة بالقوم إنهم ليأتون الفاحشة في غير مبالاة، ولا ستر من حياء! يأتونها جهرة وفي صورة جماعية، دون أن يجد أحدهم حرجا أو استحياء! وهذا غاية التدلي والإسفاف في عالم الإنسان، إلى درجة لا ينزل إليها كثير من عالم الحيوان حيث تأبى على بعض الحيوان طبيعته أن يتصل بأثناه على مرأى من بني جنسه! بله اتصاله بذكر! الأمر الذي لم تعرفه الكائنات الحية، إلا في هذا الصنف الرذل الخسيس من الناس!»^(٣).

والتعبير بالفعل المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار، فالأيام والآيات لا تزيدهم إلا سفاهة وجهالة، وهم مصرون على جهلهم مقيمون عليه.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٨/١٢.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٣٢٩/٢.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٩٦.

٤. الفسق.

قال تعالى: ﴿لُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْفَرِيقِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَجْأَتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوُوءٍ فَسِيقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤].

فتلك الفعلة القبيحة هي أشد ألوان الفسق، ففيها خروج عن الطاعة، خروج عن الشريعة، خروج على العرف المستقيم، تمرّد على الفطرة فليس هناك أسوأ مما كانوا عليه، فقد أضيفوا إلى السوء إضافة تدل على ملازمة، ورجل السوء هو الذي يسوء ويفسد كل من يخالطه، ووصفوا بالفسق صفة ملازمة لهم لا تنفك عنهم، وأصل الفسق من فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها التي تصونها وتحفظها، كذلك قوم لوط خرجوا عن منهج الله الذي يصونهم ويحميهم، وقد جلبوا الخزي والعار لأنفسهم واستوجبوا سخط الله وأليم عقابه

٥. الفساد.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

وأي إفساد أشد مما كانوا عليه من الكفر والفسوق، والتحلل والعري، وفساد الأمزجة وانتكاس الفطرة، وقطع السبيل، والخلل الاجتماعي، والانقلاب على

الحق، وإخراج أهل الطهر، فساد روجي وفساد اجتماعي وفساد سياسي واقتصادي، فالفساد داء عضال يستشري في أبدانهم وامتدياتهم ويلوث مجالسهم، صفة من صفاتهم التي لا تنفك عنهم، والفساد باض وأفرخ فيهم وتغلغل في مجتمعاتهم وبيوتهم، وهم إلى جانب فسادهم مفسدون أشد الإفساد، يسعون جاهدين لإفساد كل ما حولهم، ولا يقع إفسادهم عند حد.

وحين دعا لوط ربه استحثه على الإجابة ببيان ما هم عليهم من إفساد قال ابن عجيبة: «وصفهم بذلك؛ مبالغة استنزال العذاب، وإشعارًا بأنهم أحقأ بأن يعجل لهم العذاب»^(١).

وقال ابن عادل: «ثم إن لوطًا لما يش منكم طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (فإن الله لا يحب المفسدين) حتى ينجز النصر»^(٢).

٦. العدوان.

قال تعالى: ﴿آتَاوَنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٤-١٦٦].

فقد اعتدوا على حرمات الله وانتهكوا

(١) البحر المديد، ابن عجيبة ٧/٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٥/٣٤٣.

تَجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ **إِلَّا مَا لَوْ لُوْطُ إِنَّنَا لَمُنَجِّوْمُهُمْ**
أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ [الحجر: ٥٨-٥٩].

وأي جريمة أشد مما كانوا عليه من فاحشة، فوق أنهم كانوا يقطعون السبيل على المارة والمسافرين ويتعرضون لهم بالأذى ويترشون بهم مع عزمهم على إخراج لوط وأهله المؤمنين الطاهرين من القرية بدون جريرة أو ذنب سوى أنهم مؤمنون طاهرون، ومن قبل هددوا لوطا عليه السلام بالرجم إن لم يكف عن دعوته .

٩. الامتراء.

فلقد جمعوا مع كفرهم وتكذيبهم الامتراء وهو التشكيك واللغظ والاستخفاف والاستبعاد، والجدل المذموم، تشغيبا على لوط وتشويشا على دعوته، وسعيا لقلب الحقائق وتزيين الأباطيل وتحسين القبائح.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا مَا لَوْ لُوْطٌ بَخِيْتَهُمْ بِسُحْرِ ﴿٣٤﴾ رِجْمَةٍ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْرِمُ مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِي ﴿٣٦﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ مَّوْءٍ أَوْ بَشْرٍ جَافٍ أَوْ سَحَابٍ مَّغْلُوبٍ ﴿١٣﴾ [الحجر: ٦٣].

ومن ذلك المراء قولهم كما أخبر القرآن: ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤﴾ [العنكبوت: ٢٩].

محارم الله وتجاوزوا الحد، واعتدوا على الغير، فإن من وضع الشهوة في غير موضعها عادٍ أثم.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَسْعَىٰ وَرَأَىٰ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

٧. السبق إلى السوء.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [الأعراف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ [العنكبوت: ٢٨].

لقد حازوا قصب السبق لا في الخيرات ولا إلى المغفرة والرحمات، بل سبقوا في الفجور والشذوذ، فكانوا أول من ابتدع هذه الفاحشة التي انتشرت فيهم انتشار النار في الهشيم .

٨. الإجمام.

قال تعالى في بيان ما حل بهم من عقاب: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَانظِرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأعراف: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ

قال السعدي: وهذه السكرة هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يباليون معها بعذل ولا لوم^(١).

وقد وصفت تلك الفعلة بثلاثة أوصاف:
١. الفاحشة: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [النمل: ٥٤].
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

فهي من أكبر الفواحش وأفحش الكبائر، وفيها ما فيها من فحش وبذاءة وفجور وخلاعة.

٢. الخبائث: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [النمل: ٥٤].
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [النمل: ٥٤].

وهي جميع خبيثة فتدخل فيها اللواط دخولا أوليا، وتشمل سائر ما كانوا عليه من فحش وبذاءة وخلاعة ومجون وعري، والتعبير بقوله: ﴿وَيَجْنِسُهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَاحِشَةَ﴾ لبيان سبب هلاك تلك القرية، وهو استمرارهم في عمل الخبائث، أي: ممارستها وابتداعها وامتهانها، وهل

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٣.

١٠. الظلم.

فقد وضعوا الأمور في غير موضعها، وعاثوا في الأرض ظلما يقطعون الطريق ويتهكون المحارم، وبلغ بهم الظلم إلى أن هددوا لوطا وافتروا عليه وأخرجوه من القرية، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

فلقد بلغوا من الظلم هذا المبلغ فاستحقوا العذاب.

١١. السكرة والعمه.

فلقد كانوا في غفلة سادرين، وفي عمه عن الحق لا يبصرون قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

فما تجدي الموعظة مع من غرق في بحار السكر، فهو في عمى وحيرة يتخطب خطب عشواء ويتردد بلا وعي، والله تعالى يلتفت لنيبه الكريم صلى الله عليه وسلم مقسما بحياته العامرة، ليرى صورة من صور الانحراف الإنساني عن سنن الهدى، وصفاء الفطرة، وارتكاسها إلى مستنقعات الرذيلة ومزائق الهوى، وركوبها متن النزق متوغلة في أحوال الفاحشة لا تلوي على موعظة ولا تستجيب لنصح ولا تلتفت لنداء الحق، كيف وقد استبدت بهم النزوات واستعرت في نفوسهم الغلظة والشهوات.

ثانياً: جواب قوم لوط:

ماذا كان موقف قوم لوط عليه السلام من دعوته كيف أجابوه؟ هل كان لمواعظه أثرٌ في نفوسهم؟ كلا والله بل لجوا في طغيانهم وتمادوا في غيهم، وأصرروا على مقارفة جرائمهم، وكان ردهم عنيفاً قاسياً ينم عن مراءٍ وتشغيبٍ.

وفي سورة الشعراء يقول عز وجل:

﴿قَالُوا لَيْنَ لِرَبِّنَا لَوْلَا يُنذِرُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُجِرَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

هددوه أولاً بالإخراج إن لم يكف عن إنكاره عليهم ومواعظه، ثم قرروا إخراجه من قريتهم، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

كذبوا بالندر، واستخفوا بها بل وتعجلوها، قال عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ هُمْ يُأْتُونَ﴾ [القمر: ٣٣].

وقال: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

ومن جملة هذه الآيات يتضح لنا موقف قوم لوط من دعوته، فلقد كذبوا به وأعرضوا عنه وسخروا منه، وتعجلوا وقوع العذاب، وهددوا بإخراجه ومن آمن به من آله من قريتهم لأنهم أطهارٌ أعفَاء، وكان الطهر

هناك أخبث من إتيان الرجل للرجل! ومن خباثتهم إتيانهم المنكرات في نواديهم دون تورع ولا حياء، ومنها قطعهم للطريق، ومنها إهانتهم للأضياف، ومنها التعري، إضافة إلى كفرهم وتكذيبهم.

٣. عمل السيئات: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨].

فجرائمهم كثيرة ومن أظفعتها وأشنعها جريمة اللواط، قال ابن عاشور: «فقد صارت لهم دأباً لا يسعون إلا لأجله» (١).

وقال عبد الكريم الخطيب: «عرض لسيرة هؤلاء القوم، وفضح لمخازيهم، وأن هذا الذي جاءوا إليه ليس ابن يومه، وإنما هو داء تعاطاه القوم من قبل، فكان طبيعة غلبت عليهم، حتى لقد صار عادة مألوفة عندهم، وأمرًا مستقراً فيهم، ليس فيه ما يثير أي إحساس عندهم بالخزي أو الاستحياء» (٢).

وجمع السيئات في مقابلة جمع من يعملها، وتكرارها وتشنيعها لأنها ليست سيئةً واحدة بل سيئات شتى، فقد اعتادوا المنكرات وألفوها بلا حياءٍ يمنعهم ولا ضميرٍ يردعهم، فهرعوا من منكر إلى منكر ومن سيء إلى أسوء.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/١١.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٣٢٩/٢.

الْصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت: ٢٩ - ٣٠].

لقد مكث لوط عليه السلام في قومه مدة طويلة، يدعوهم إلى العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة والشريعة القويمة الحكيمة، التي جاء بها من عند الله تعالى، ولكنهم صموا آذانهم وعموا أبصارهم عن الحق، وقابلوا الحجج الساطعة والأدلة القاطعة بالجحود والإنكار وأصرروا على كفرهم وتمادوا في غيهم وضلالهم، بل وتعجلوا العذاب حتى يش لوط من إيمانهم، فدعا الله عز وجل أن ينجيه هو ومن آمن معه ويخلصهم من أولئك المفسدين الذين دنسوا الأرض ولوثوا العرض.

وقال سبحانه: ﴿قَالُوا لَئِن لَّرُتِّنَّه يَبُلُوْطَ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْمَفْرُوْجِيْنَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ إِنِّي لَمَعْلِكُمْ مِّنَ الْقَالِيْنَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧ - ١٦٨].

بين لهم بغضه لعلهم القبيح وتبرأه منه، قال صاحب الكشاف: «(ومن القالين) أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال، كما تقول: فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: فلان عالم؛ لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم، ومعروفة مساهمته لهم في العلم، والقلبي: البغض الشديد؛ كأنه بغض يقلي معصيتهم، والمراد: القلي من حيث الدين والتقوى، وقد تقوى همة الدين حتى تقرب

والعفاف ظلم وإجحاف وجرم وانحراف وكان الشذوذ والخنا هو العادة والإلف الذي ينكر على من يهجره وينتزع حق العيش ممن آثر الطهر والعفاف فلا مقام له بين ظهرائي الملوئين بأحبث الأقدار، ولا يخفى ما في هذا القول من سخرية وتهكم بالفضائل وكراهية لها، وتضييق على أهلها. يقول صاحب الظلال: «ويتجلى لنا انحراف قوم لوط في جوابهم لنبيهم، ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

يا عجبا!! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجا ليقى فيها الملوثون المدنسون؟! ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية، وتسميه تقدمية وتحطيمًا للأغلال عن المرأة وغير المرأة، أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك، ولا تطيق أن تراهم يتطهرون، لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين الدنسين الأقدار، إنه منطق الجاهلية في كل حين!!»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣١٦.

والفسق والفساد والعدوان، ووصفت تلك
الفعلة بثلاثة أوصاف: الفاحشة، الخبائث،
والسيئات، فينبغي أن يتنبه العقلاء إلى ما
يرمي إليه الشواذ من ترويح لفاحشتهم
وتمرير لها وكسر القيود أمامها.

كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية» (١).
كذلك التعبير بقوله: ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ كأنه
عليه السلام يشير إلى أنه ليس وحده قاليا
لهذا العمل فكل عاقل لبيب سوي النفس
مستقيم الفطرة لا بد وأن يقلب هذا العمل
ويبرأ منه.

هكذا كان رد فعلهم، وموقفهم المعاند
من دعوة لوط عليه السلام هددوه إن لم
يتوقف عن مواعظه البليغة أن يخرجوه من
القرية، وكان منطقتهم في ذلك كما أخبر
القرآن ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَلِقُونَ﴾ كأن الطهر
في عرفهم السقيم صار جريمة تستوجب
العقوبة، أما الشذوذ والمجون فهو حق لهم
يدافعون عنه ويسعون إلى إسكات كل من
يعارضهم وينفرهم شأن الشذاذ في عصرنا
هذا، فقد كافحوا من أجل الدفاع عن فسادهم
وانحرافهم وحققوا نجاحا في بلاد الغرب،
حيث ارتفعت أصواتهم المنكرة، وكثرت
تجمعاتهم الفاجرة، وانتشرت متدياتهم
المستهترة، وروجوا لتلك الفاحشة بتسميتها
بغير اسمها المعهود على مر العهود،
فسمي من يفعلون ذلك بالمثلين، حتى
يهدموا الأسوار ويحطموا الحواجز أمام
ذلك المرض الخبيث، بينما كان لوط عليه
السلام محققا وكان صريحا في مناصحته
وإنكاره، فوصفهم بالإسراف والجهل

(١) الكشاف، الزمخشري ٣/٣٣١. بتصرف.

لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرته به أهل المدينة ممن يعمل سوء» (١).

لقد كذبت امرأة لوط بزوجها، وكان الأولى بها أن تكون أول من آمن به وأن تكون عوناً له على دعوته؛ لأنها أعلم الناس بأحواله، وأقرب الناس منه، ولكنها آثرت ما عليه قومها من الكفر والضلال؛ فكان عاقبتها الخسران والنكال.

ولم ينفعها زواجها من نبي الله لوط عليه السلام، وما أجمل قول القشيري في اللطائف: «إن الجسارة على الزلة وخيمة العاقبة، ولو بعد حين، ولا ينفع المرء اتصاله بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقضاء من جملة الأشقياء» (٢).
وسياتي الحديث عن هلاكها.

لوط عليه السلام مع زوجته

قال تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

والخيانة هنا هي: خيانة كفر لا خيانة زنا، خيانة في الدين لا في العرض؛ إذ نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في خيانة العرض.

قال ابن كثير: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقتاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما ﴿وَقِيلَ﴾ للمرأتين ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (١٠).

وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بغت امرأة نبي قط، كانت خيانتها أنها كانت على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرته الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩٣/٤ بتصرف.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري ١٤٩/٣.

لوط عليه السلام مع بناته

ورد الحديث عن بنات لوط عليه السلام حين جاءه قومه يهرعون إليه، ليراودوه عن ضيفه المكرمين، فتزاحموا على بابه، ولم تكن لديه القوة على دفعهم وحماية ضيفه فعرض عليهم بناته للزواج، ردًا لهم إلى الفطرة النقية وإلى الغريزة الطبيعية، وصرفا لهم عن الشذوذ والانحراف الذي استهواهم، لكنهم عزفوا عن الزواج بل وتبجحوا ولمحوا ببيعتهم الخبيثة.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَرَبُّ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ فِي صَیْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالَوْا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعَاذٌ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ [هود: ٧٨-٨٠].

وقد وصف لوط ما عليه بناته من طهر وعفاف، كما مدح الله جل وعلا لوطا ومن آمن به من آل بيته بكونهم شاكرين لله تعالى. قال سبحانه: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٢٤﴾ نِعْمَةٌ مِنَّا عِنْدَنَا كَذَلِكَ نَجْرِي مَنْ شَكَرَ ﴿٢٥﴾﴾، نجى الله تعالى لوطا ومن آمن به من أهل بيته ويظهر لي والله أعلم أنه لم يؤمن به إلا بناته ولقد جاء الحديث عن نجاتهن معه عليه

السلام في سورة هود والحجر والذاريات، قال تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

وفي سورة الحجر يقول تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَآ كَانُوا فِيهِ يَسْتَمِرُّونَ ﴿١٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسْرِبْ أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿١٦﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الذاريات يقول عز وجل: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فجمعوا بين الإيمان والإسلام، الإيمان بكل ما يعنيه من معاني وصفات، والإسلام الانقياد التام لله تعالى.

وفي سورة الذاريات يقول جل وعلا:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْهَا أَهْلِيهَا فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَفَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِفُلَانٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرْرِهَا فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الذاريات:

٢٤ - ٣٢].

وفي هذه الآيات الكريمة يخبر المولى عز وجل عن نزول الملائكة في صورة بشرية ومجيئهم إلى الخليل إبراهيم عليه السلام حيث حياهم عليه السلام بأفضل مما حيوه، وبادر عليه السلام إلى إعداد الطعام لضيوفه وقربه إليهم إثر فراغه من إعداده، فلم يمدوا إليه يدا؛ فأنكر ذلك منهم ووجده على غير ما يعهد من الضيف، فإن الضيف لا يمتنع من طعام المضيف إلا لريبة، أو قصد سيئ، وأحس في نفسه خيفة منهم، فلما رأوا منه ذلك بادروا إلى تهدئة روعه وطمأنة قلبه، فأظهروا حقيقتهم وكشفوا عن مهمتهم التي من أجلها جاءوا، وهى إهلاك قوم لوط وقطع دابره بعد أن تمادوا في الكفر والطغيان وأصروا على الفسوق والعصيان، وهنا يتجلى موقف الزوجة المؤمنة سارة

لوط عليه السلام مع الملائكة

أولاً: الملائكة في طريقها إلى قوم لوط:

في صورة من أبهى وأجمل الصور البشرية جاءت الملائكة الكرام إلى إبراهيم عليه السلام وبادروه بالتحية فحياهم بأحسن منها.

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىِٔ قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لِيَتْ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَسِيذٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٦٧﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٩ - ٧١].

وقال سبحانه في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ بَشِيرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْطَبِئِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَا لَ لُوطٍ إِنَّا لَمَجُومٌمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر: ٥١ - ٦٠].

وفي غمرة هذه المشاعر الإيمانية جاءت البشارة بالذرية الصالحة لتكتمل فرحتها وتم سعادتها، جاءت البشارة وهي في هذا الموقف المحمود، كما جاءت البشارة لذكريا عليه السلام بالولد بعد طول انتظار -جاءته البشارة وهو قائم يصلى في المحراب - وكما أن الصلاة هي من أسمى العبادات: فموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، من أعظم القربات، وفي مجيء الملائكة بالبشارة أعظم تكريم لها عليها السلام.

ثانياً: الملائكة في ضيافة لوط عليه السلام:

حق على قوم لوط العذاب، وجاءت الملائكة الكرام إليه في صورة بشرية، كما جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام، وظن لوط عليه السلام أنهم بشر كما وقع في ظن إبراهيم عليه السلام؛ فخاف لوط عليهم من تحرش قومه بهم وتعرضهم لهم بالإيذاء، ولولا حق الضيافة وآدابها لطلب منهم عليه السلام أن يغادروا القرية في الحال، ولكنه استحيا من مواجهتهم بالواقع المرير.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا لُوطًا بَيِّنَةً يَوْمَ ضَافِقِ يَوْمٍ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

قال ابن كثير: «قال المفسرون: لما

رضي الله عنها حيث فرحت واستبشرت بهذه البشارة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ﴿٧٧﴾ وَأَمْرًا تُهْتَمُّ بِهَا فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٦٩ - ٧١].

كانت قائمة من وراء الستر من أجل خدمة الضيفان، وقيل كانت قائمة تخدمهم بنفسها، وهي عجوز لا يخشى عليها ولا منها الفتنة .

والضحك هنا على حقيقته، وسببه الفرح والتعجب، فرحت حين سمعت الملائكة الكرام يخبرون إبراهيم عليه السلام بأمر نجاة لوط عليه السلام ومن آمن معه وهلاك المكذبين به المعرضين عن دعوته وتعجبت من حال الهالكين، كيف يتمادون في الضلال ويصرون على الانحلال مع قرب هلاكهم؛ فالأولى بهم أن يتوبوا إلى الله قبل فوات الأوان.

وهذا يدل على قوة إيمانها وحبها وولائها للإيمان وأهلها، وبغضها وبرائها من الكفر وأهلها .

قال ابن كثير: «(فضحكت) استبشارا بهلاكهم لكثرة فسادهم وكفرهم وعنادهم، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس» (١)

بتصرف.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٥٢/٢

الزواج وأنشدوا الحلال الطيب، وأنا أول من يعرض بناته عليكم للزواج .

عرض عليهم أن يتزوجوا بناته، ولكنهم أبوا وآثروا الفاحشة المنكرة على الحلال الطيب، آثروا الشذوذ والانحراف على الطهر والعفاف، وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَتَّىٰ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُهُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

قال الإمام الألويسي: «عنا به قضاء الشهوة: أي ما لنا حاجة في بناتك، يجوز أن يكون المعنى: ما لنا في بناتك نكاح حق؛ لأنك لا ترى جواز نكاحنا للمسلمات وقيل: إنما نفوا أن يكون لهم الحق في بناته؛ لأنهم كانوا قد خطبوهن فردهم وكان من سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبداً، وقيل: إنهم لما اتخذوا إتيان الذكور مذهباً كان عندهم هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فقالوا ما قالوا» (٢)، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُهُ مَا تُرِيدُ﴾ أي: تعلم أن بغيتنا ونهمتنا في الرجال لا في النساء .

خامساً: تمنى القوة والمنعة والاعتذار للضيف الكرام

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَرْءَاوِي إِلَىٰ رُكْنِ شَدِيدِ﴾ [هود: ٨٠].

ماذا يصنع نبي الله لوط عليه السلام في

القاصمة وعجل بهلاكهم .

قال ابن كثير: «أي هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة» (١).

رابعاً: حوار بين لوط وقومه

﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ فِي صَبِيحَتِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

أدرك عليه السلام الغرض الخبيث الذي جاء من أجله القوم، ورأى أنهم عازمون على هذا الأمر فعرض بناته على قومه لكي يتزوج بعض رجال القوم بهن حلالات طيبا، ويهجروا عاداتهم القبيحة المنكرة وهي إتيان الرجال في أديبارهم، فإذا تزوج بعض الرجال بهن فسوف يسير جميع القوم على هذا السنن القويم والنهج المستقيم .

أدرك عليه السلام ذلك فأراد أن يوقظ فيهم داعي الفطرة قبل فوات الأوان، ويبعث فيهم روح النخوة والمروءة والطهارة والكرامة، ويحيي ضمائرهم الميتة ويعمر قلوبهم الخربة، يعمرها بتقوى الله عز وجل التي هي جماع كل خير وأساس كل بروهي العصمة من كل سوء فقال لهم ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ فِي صَبِيحَتِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

عودوا إلى الفطرة السليمة، وأقبلوا على

(٢) روح المعاني، الألويسي ١٢/١٠.

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير ص ١٩٤.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ أي بجزء من الليل وهو آخره ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ﴾ لا يلتفت أحد منكم حتى يرى العذاب المروع الذي ينزل بالمكذبين، وقيل: حتى لا يتعلق قلبه بتلك البلدة، وربما حدثته نفسه بالرجوع إليها والبقاء فيها فيهلك مع الهالكين، وقيل: ليسرعوا في السير؛ لأن من يكثر الالتفات لا يسرع في سيره .

وقال تعالى في سورة الحجر ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ أمره عليه السلام بأن يسير خلفهم، وأن يمضوا جميعا في الطريق الذي أمروا بالسير فيه وبذلك أخبرت الملائكة لوطا بزمان السير ومكانه وكيفيته ومن يسير معه، وعاقبة المكذبين من قومه وعاقبة امرأته التي تهلك كما يهلك جميع المكذبين ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ الْأَلْبَنُ بِقُرْبٍ ﴾ .

وفي الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم (ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد) (٢).

والآية تفيد أنه تمنى وجود القوة والمنعة

هذا الموقف العصيب؟ ماذا يفعل؟ ومنطق الحق وحلاوة الإيمان لم تجد الطريق إلى تلك القلوب القاسية والعقول المتحجرة والنفوس الداعية للرديلة؟ كيف يحمي ضيفه من ذلك الهجوم الغاشم؟ كيف يحفظ كرامتهم؟ ويحميهم من قومه الذين عدموا المروءة والكرامة وانغمسوا في أوحال الشذوذ والانحلال؟

أين يلقي القوة التي تردهم والمنعة التي تصدهم! وهم وراء الباب يتزاحمون عليه ويرومون فتحه بالدفع أو بالكسر؟

ولم يكن عليه السلام يعلم أن هؤلاء الضيوف الذين يذود عنهم بشتى الطرق هم الذين جاءوا ليدافعوا عنه وينزلوا بقومه أشد صنوف العذاب والنكال!

لقد استفرغ لوط عليه السلام ما في وسعه وبذل أقصى جهده في دفع قومه، وصرفهم عن هدفهم الخبيث، ولم يعد في وسعه عليه السلام إلا أن يعتذر لضيفه الكرام ويقول لهم ﴿ تَوَّانَ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ .

وفي هذه اللحظة العصبية تكشف الملائكة عن حقيقتها ومهمتها، قال الإمام القشيري: «لما ضاق به الأمر كشف الله عنه الضر، فعرف إليه الملائكة» (١).

﴿ قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ بَشَّرُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَمَأَنُوهُ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ونبتهم عن ضيف إبراهيم)، رقم ٣٣٧٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم ١٥١.

(١) لطائف الإشارات، القشيري ٣/ ١٤٩.

التي تمكنه من الدفاع عن الحق ومحاربة الباطل والقضاء على الانحراف والذود عن الأضياف .

أما الحديث فإنه يدل على أنه عليه السلام كان يأوي إلى ركن شديد، وهذا هو المناسب لحال الأنبياء - عليهم السلام - الذين وصلوا إلى أعلى درجات المعرفة و أسمى مقامات التوكل واليقين برب العالمين، وطلبه عليه السلام للقوة والمنعة لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب؛ لأنه لا بد للحق من قوة تحميه.

يقول ابن حزم الظاهري في الفصل «ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المنعة من الأنصار حتى يبلغ كلام ربه (١).

(١) روى الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٢٢، رقم ٣٢٩، من حديث جابر بن عبد الله في بيعة العقبة الثانية، وفيه قال جابر قلنا يا رسول الله

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أن لوطا كان يأوي إلى ركن شديد، يعنى الملائكة الكرام الذين أرسلهم الله تعالى لحمايته ونصرته ولم يكن لوط عليه السلام يعلم بذلك، ومن اعتقد أن لوطا كان يعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر؛ إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر، وهذا أيضا ظن سخيف؛ إذ من الممتنع أن يظن برب أراه المعجزات وهو دائب يدعو إليه هذا الظن» (٢).

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: «وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ويرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد) فالمراد بالركن الشديد هو الله سبحانه وتعالى، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها ومعنى الحديث - والله أعلم - أن لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي، أو آوي أي: إلى عشيرة تمنع لمنعتكم، وقصد لوط عليه

على ما نبأيك؟ قال على السمع والطاعة في النشاط والكسل.....وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم... قال ابن كثير في السيرة النبوية ٢/١٩٦: هذا إسناد جيد على شرط مسلم.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ٩/٤.

نجاه لوط وبناته وهلاك امرأته

كشفت الملائكة الكرام للوط عليه السلام عن حقيقتهم ومهمتهم التي أرسلوا من أجلها فقالوا للوط - عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم في سورة هود: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًاكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

وفي سورة الحجر يقول تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ كَانُوا فِيهِ يَسْتَمْتُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَنْتَ نَاكِحٌ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَأَنْتَ أَذِنَهُمْ لَوْلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَنُوا حَيْثُ تَوَمَّوْنَ ﴿٦٤﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

بشروه عليه السلام بنجاته هو ومن آمن به من أهل بيته وهلاك قومه الذين كذبوا به وأعرضوا عنه، وخرج لوط عليه السلام في جنح الظلام مع أهل بيته، وسار من ورائهم حتى لا يتخلف منهم أحد فينال العذاب، وسار الجميع في الطريق الذي أمروا بالسير فيه، ولم يتلفت منهم أحد إلا امرأة لوط التي التفتت نحو القرية فأصابها ما أصاب قومها من العذاب.

قال عز وجل: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا

السلام إظهار العذر عند أضيافه، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله، وأنه بذل ما في وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم ولم يكن ذلك إعراضاً منه عليه السلام عن الاعتماد على الله تعالى، وإنما كان لِمَا ذكرناه من تطيب قلوب الأضياف .

ويقال: إن قوم لوط لم يكن منهم أحد يجتمع معه في نسب لأنهم من سدوم، وهو من الشام، وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط فبعث الله لوطاً إلى أهل سدوم فقال: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفاني»^(١).

(١) شرح صحيح مسلم ٤٧٨/٦.

أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنْ الْفَتَرَيْنِ ﴿٨٣﴾ [الأعراف: ٨٣].

﴿قَالُوا إِنَّا أَزْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
إِلَّا مَال لُّوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾
إِلَّا أَمْرَاتُهُ فَذَرْنَاهَا لِمَنْ الْفَتَرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٥٨ - ٦٠].

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْفَتَرَيْنِ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ١٧٠ - ١٧١].

أي: في الهالكين، لما كانت منهم نالت مصيرهم الذي قدره الله تعالى لها.

وفي سورة الأنبياء في سياق الحديث عن مَنْنِ الله على أنبيائه ورعايته لهم قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ أَنبَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَبَيَّنَّاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْتَقِيمَ ﴿٧٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤ - ٧٥].

عصمه الله تعالى بما آتاه من حِكْمٍ وعلم وثبته أمام هذا الابتلاء العظيم، ثم خلصه من تلك القرية التي غلب عليها الخبث وطغى عليها الفساد، وأدخله الله في رحمته لينال جزاء صبره وثباته سعادةً وفلاحًا في الدنيا وصلاح بال وقرّة عين وعيش هنيء .

قال الرازي: إنه عليه السلام لما آتاه الله الحكم والعلم وتخلص عن جلساء السوء فُتِحَتْ عليه أبواب المكاشفات، وتجلت له أنوار الإلهية وهي بحر لا ساحل له وهي

الرحمة في الحقيقة ^(١).

وقال البقاعي: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ أي دونهم بعظمتنا ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي في الأحوال السنية، والأقوال العلية، والأفعال الزكية، التي هي سبب الرحمة العظمى ومسببة عنها، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: لما جلبناه عليه من الخير ^(٢).

وقال القشيري: «أكمل له الأنعام بعصمته من مثل ما امتحن به قومه، ثم بخلصه منهم بإخراجه إياه من بينهم، فميزه عنهم ظاهرا وباطنا» ^(٣).

وقال السعدي: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ التي من دخلها كان من الأمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة وبر، وسرور وثناء، وذلك لأنه من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم وزكت أحوالهم، وأصلح الله فاسدهم، والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد سبب لحرمانه الرحمة والخير، وأعظم الناس صلاحا الأنبياء عليهم السلام ^(٤).

وفي سورة الذاريات يقول عز وجل: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ هو بيت لوط عليه السلام، قال مجاهد: لوط وابتناه،

(١) مفاتيح الغيب ١/ ٣١٥٤.

(٢) نظم الدرر ٥/ ٩٩.

(٣) لطائف الإشارات ٢/ ٥١..

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٢٧.

صنوف العذاب التي حلت بقوم لوط

تحدث القرآن الكريم حديثاً مفصلاً عن صنوف العذاب التي حلت بقوم لوط عليه السلام، فلقد طَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ حِينَ رَاوَدُوا لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ضَيْفِهِ، وَقَلَّبَتْ قُرَاهِمَ فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرُوا بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ، وَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا.

يقول المولى عز وجل في سورة القمر:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ فُذُوقًا
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ
مُتَسْقِرٌ ﴿٣٨﴾ فُذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾﴾ [القمر]:

[٣٧ - ٣٩].

قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابَه والملائكة معه في الدار وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدران، أو كسر الباب أو دفعه بالقوة، فلما رأت الملائكة ما لقي من الجهد والكرب والنصب بسبيهم قالوا: يا لوط إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، وإننا نرسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه وقيل: أخذ جبريل قبضة من تراب فأذراها في وجوههم»^(١).

قلبت قراهم فصار عاليها سافلها كما قال

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٧٨، ٨. بتصرف.

عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا﴾ [هود: ٨١].

قال الحافظ ابن حجر: «أهلكهم الله عز وجل على يد جبريل فقلب مدائنهم بعد أن خرج عنهم لوط بأهل بيته إلا امرأته فإنها تأخرت مع قومها، أو خرجت مع لوط فأدركها العذاب فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه، فصار عاليها سافلها، وصار مكانها بحيرة متنة لا يُتفتح بمائها ولا بشيء مما حولها» (١).

ويقول عز وجل: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۝٣٦ فَفَشَّنَهَا مَا غَشَّى ۝٣٧ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَ تَسْمَائِي ۝٣٨ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ۝٣٩﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].

والمؤتفكة هي: قرى قوم لوط، سدوم وما حولها: وسميت بالمؤتفكة؛ لأنها انقلبت رأساً على عقب، والإفك هو صرف الشيء عن وجهه، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾: قيل دفعها جبريل بيده بعد أن اقتلعها ثم أهواها إلى الأرض: أي أسقطها ﴿فَفَشَّنَهَا مَا غَشَّى﴾ تهويل وتعظيم لما أصابها وعمَّها وغمرها من عذاب مهين أليم.

وقال تعالى: ﴿وَبَاءَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةَ بِالْحَاطِئَةِ ۝٩ فَصَوَّا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۝١٠﴾ [الحاقة: ٩-١٠].

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ أي: قرى قوم لوط

﴿بِالْحَاطِئَةِ﴾ أي بالخطايا الشنيعة، ﴿فَصَوَّا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ أخذة شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح، يقال: ربا الشيء يربو: إذا ازداد ومن بدائع اللطائف القرآنية قوله تعالى ﴿فَصَوَّا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ فهم قد عصوا رسلا كثيراً، ولكن لما كانت دعوة الرسل واحدة ومصدرهم واحد وهو الوحي وغايتهم واحدة كانوا جميعاً كرسول واحد يمثل حقيقة واحدة.

ويقول المولى عز وجل عن عذاب قوم لوط: ﴿إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝٣٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾ [العنكبوت: ٣٤-٣٥].

والرجز هو العذاب من قولهم: ارتجز إذا اضطرب، وذلك لما يلحق المعذب من قلق واضطراب وجزع وهلع، وفي هذه الآية إشارة إلى الحالة النفسية التي لازمت قوم لوط حين عاينوا العذاب وحل بهم؛ بسبب ما كانوا عليه من الفسق، فالعذاب الذي حاق بهم عذاب حسي ومعنوي.

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُورٍ ۝٨٢ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

والسجّيل: الحجارة الصلبة، قال قتادة

(١) فتح الباري ٦/٤٧٨.

بحجارة من سجيل منضود سريعة متتابعة مسومة لا تخطئ أهدافها .

ويقول عز وجل في سياق الحديث عن عذابهم في سورة الحجر: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴾ أي: وقت الشروق، وفي ذلك مباحة لهم، بين المولى عز وجل صنفاً آخر من صنوف العذاب التي حقت بهم وهي صيحة مدوية مزعجة كالرعد القاصف .

وخلاصة ما سبق ذكره: أن قوم لوط عذبوا بأنواع شتى من العذاب طمست أعينهم، وقلبت قراهم وأمطروا بحجارة من سجيل منضود، كما أخذوا بالصيحة المخيفة المرعبة التي تدوي في الأذان فيهتز منها الكيان ويشيب من هولها الولدان .

قال الإمام ابن تيمية «وعذب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم، فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالحجارة من السماء وطمس الأبصار وقلب الديار بأن جعل عاليها سافلها» (٣) .

وقال الإمام ابن القيم «جمع الله أنواع العقوبات بين الإهلاك وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء فنكل بهم نكالا لم ينكله بأمة سواهم، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها حين

وعكرمة: السجيل: الطين بدليل قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ فهو الطين الذي جف وأصبح صلباً شديداً الصلابة، وقال الحسن: والسجيل عند العرب كل شديد صلب (١) .

(والمضود) هو المتواصل المتتابع كطلقات المدافع، قد أعد لعذابهم، والمسومة: هي مالها علامة مميزة، وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به، فهي مصوبةٌ موجهةٌ بدقة متناهية .

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا نَالَ لُوطٌ حَسْبَهُمْ بِسَعْرِ (٣٦) ﴾ [القمر: ٣٤] .

وقال القرطبي: «أي: ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى» (٢) .

ويحتمل أن تكون الحصباء هي الحجارة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ وهذه الحجارة قذفها الملائكة وحملتها الرياح حتى بلغت أهدافها، والرياح جند من جنود الله عز وجل، ويحتمل أن تكون الحصباء غير الحجارة المشار إليها، وبهذا يكون قد اجتمع على قوم لوط صنفان من العذاب: إرسال الحصباء عليهم بواسطة الرياح التي تثيرها وتحملها، وإمطار السماء عليهم

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨١/٩ .

(٢) المصدر السابق ١٧/١٤٣ .

وانظر: البحر المحيط، أبو حيان ١٨١/٨ ،

روح المعاني، الألويسي ٩/٢٧ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥/١٦ .

تعمل عليها»^(١).

لقد صموا آذانهم وأعموا أبصارهم عن صوت الحق ونوره، واختلطت مفاهيمهم وانقلبت موازينهم واستباحوا اللواط وهو أشنع وأفحش من الزنا وأعظم منه جرما وإثما، فعاقبهم الله بطمس أبصارهم التي عمت عن نور الحق، وأخذتهم الصيحة تدوي في آذانهم التي صمت عن الحق، وقلبت قراهم فجعل عاليها سافلها ؛ فلقد انقلبت موازينهم واختلطت مفاهيمهم، فاقترفوا تلك الفاحشة وهي إتيانهم الرجال

من دون النساء، وفي هذا انقلاب في ميزان الفطرة، واعتبروا الطهر والعفاف إثما وجرما يستحق صاحبه العقاب والطرده ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

أما الشذوذ والانحراف فهو حق لهم يجاهرون به ويتباهون بفعله ويطالبون به كما يطالب الإنسان بحقه المشروع ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

﴿وَلَقَدْ رَودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ [القمر: ٣٧].

واستعجلوا وقوع العذاب وكان واجبهم طلب الهداية والنجاة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكُمْ

لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ [العنكبوت: ٢٩].

فكان حالهم في استعجال العذاب كحال كفار قريش حين قالوا كما أخبر القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حُجُوتُنَا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ آسِئٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وكان الأولى بكفار قريش أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه وحببنا فيه وثبتنا عليه .

ومن مظاهر انقلاب موازين قوم لوط أنهم اعتبروا واجب الضيافة أمرا منكرا يجب اجتنابه فقالوا للوط عليه السلام ﴿أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، هو ينهاهم عن الفحشاء والمنكر وما فيها من إهانة وهم ينهونه عن البر والخير وإكرام الضيف .

لم يراعوا حق الضيافة ولا حرمة الضيف بل هرعوا إلى بيت لوط وراودوه عن ضيفه، وبسبب هذه الأفعال المنكرة التي تدل على انقلاب موازينهم واختلاط المفاهيم عندهم استحقوا العذاب الأليم المهين، حيث قلبت قراهم فأصبح عاليها سافلها، ورجموا بالحجارة وأخذوا بالصيحة، أصناف مختلفة

(١) الجواب الكافي، ابن القيم ص ٢٥١.

بها وهي إهلاك قوم لوط، ونجاة لوط ومن آمن به من أهل بيته، وهلاك امرأته مع الهالكين، وتخرج لوط من مجيء الملائكة في صورة بشرية ؛ خوفا عليهم من قومه وحين اشتد عليه الأمر أخبروه بحقيقتهم ومهمتهم، حيث حل العذاب على أولئك الفساق، وجعلهم الله عبرة واضحة وموعظة بليغة لكل عاقل .

من العذاب لتنوع جرائمهم وكثرة مفسدهم وذنوبهم.

لقد حل بقوم لوط أشد وأنكى صنوف العذاب بسبب كفرهم وفسقهم وفي ذلك عبرة لمن يعتبر قال تعالى بعد أن ذكر ما حل بقوم لوط من العذاب الشديد ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُنْتَوِيْنَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا لَيْسَابِلٌ مُّقِيْبِ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٧٧﴾

[الحجر: ٧٥-٧٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَنُرَوِّنَا عَلَيْهِمْ مُّصِيبِيْنَ ﴿١٣٧﴾ وَبِأَيْتِلُّ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ﴿١٣٨﴾

[الصافات: ١٣٧-١٣٨]. وقال عز وجل

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ بِبَعِيْدٍ ﴿٨٣﴾

[هود: ٨٢-٨٣].

وفي سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَنزِلُوْنَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُوْنَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ ﴿٢٥﴾ .

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِيْنَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿٣٦﴾ وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ الْعَذَابَ الْآلِيْمَ ﴿٣٧﴾

[الذاريات: ٣٢ - ٣٧].

بينت الآيات الكريمة مجيء الملائكة لإبراهيم أولاً وإبلاغه بمهمتهم التي وكلوا

الأجر كله من الله الذي بعثهم .
 ٦. ضرب لوط عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والثبات على الحق، والحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل والثقة بالله تعالى واليقين بوعده سبحانه الذي لا يتخلف، كما ضرب عليه السلام أروع الأمثلة في إكرام الضيف ورعاية حقوقهم والترحيب بهم حتى في أصعب الأحوال، فلقد استضافهم عليه السلام رغم أن قومه نهوه عن ضيافة الغرباء وحذروه من عاقبة ذلك، وحين هرع قومه إلى بيته وراودوه عن ضيفه نجده يدافع عن ضيفه، ويدود عنهم بكل ما يملك حتى وصل به الأمر إلى عرض بناته على قومه - ليتزوجوا بهن - في مقابل عدم تعرضهم للضيف الكرام وفي هذا درس هام في إكرام الضيف، ولنا في أنبياء الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .
 ٧. في موقف لوط عليه السلام من قومه حين هرعوا إلى بيته وراودوه عن ضيفه، وحاول بكل السبل منعهم، وصددهم حتى ضاقت به السبل فالتفت إلى ضيفه واعتذر لهم، ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَةٌ إِلَىٰ رَبِّيَ لَكُنَّ لِلَّهِ كُرْبًا ﴾ في هذا الموقف إشارة إلى أهمية القوة في نصرة الحق وفي نشر الدعوة وفي مواجهة أهل

٣. التوحيد هو أساس دعوة جميع الأنبياء، ولقد استهل لوط عليه السلام دعوته بعرض العقيدة الصحيحة الخالصة، عقيدة التوحيد .
 ٤. العقيدة أولاً: بدأ بها لوط لأنها الأساس الذي تقوم عليه المكارم والفضائل، الأصل الذي تقوم عليه القيم والأخلاق. بدأ بالعقيدة قبل أن ينكر على قومه ما هم فيه من الفاحشة والمنكرات، وذلك لأن الطريق إلى الإصلاح المنشود، الإصلاح الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، لا بد أن يبدأ من إصلاح العقيدة وإخلاص العبادة، فإذا صحت العقيدة ورسخت في قلوب المؤمنين، وخلصت العبادة لله رب العالمين كان الطريق إلى الإصلاح والتغيير طريقاً سهلاً ممهداً، وبدون العقيدة الصحيحة لن تفلح أي محاولة للإصلاح أو التغيير. فالعقيدة هي الحصن الحصين والأساس المتين والنبراس المبين للدعاة والمصلحين، وفي قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٦٢] بيان لأهمية الأمانة للدعاة، أمانة الكلمة، أمانة النصيحة، أمانة التبليغ .
 ٥. تجرد الأنبياء وإخلاصهم في الدعوة إذ لم يتقاضوا عليها أجراً من البشر، وإنما

يَسْقُوتُمْ بِكُفْرَانِكُمْ أَعدَاءَ وَبَسَطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
﴿٢﴾ [المستحنة: ٢].

٨. ويستفاد من هذه القصة أن الكافر يعاقب على كفره ولا تنفعه قرابته من أهل الإيمان في النسب أو المصاهرة، كما أن المؤمن يثاب على إيمانه ولا يضره قرابته من الكافرين في النسب أو المصاهرة. قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]. وامرأة لوط رغم أنها أقرب الناس إليه وأعلمهم بأحواله وأفعاله إلا أنها كذبت به وآثرت ما عليه قومها من الكفر والضلال على ما جاء به لوط عليه السلام من الإيمان والهدى والفلاح والصلاح، فلم تنفعا قرابتها له وقربها منه. قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]. وقال تعالى ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر: ٦٠]. نجا الله لوط عليه السلام ومن آمن به من أهل بيته وأهلك زوجته، تلك العجوز التي شبت على الكفر وشابت عليه، وكان الأولى بها

الباطل، فالحق لا بد له من قوة تحميه . ولذلك كان الجهاد في سبيل الله للقضاء على النظم الجاهلية التي تحول دون وصول الحق وتكره الإنسان على عبادة غير الله وتقف للمسلمين بالمرصاد فلا بد إذا من الجهاد لإزالة وإزاحة هذه النظم المتسلطة الجائرة، حتى يكون الطريق ممهدا لدعوة الله، لتجد طريقها إلى القلوب الصادقة والنفوس المتشوقة والعقول المتعطشة لدين الله، دين الحق والرشاد . ولا بد من الجهاد لحماية المؤمنين المستضعفين المضطهدين . قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَتْهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ولقد حثنا الإسلام على إعداد القوة في مواجهة أعداء الله الذين يصدون عن سبيله ويغونها عوجا قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فالقوة في الإسلام وسيلة لا غاية، وسيلة نبيلة إلى غاية سامية هي إرهاب أعداء الله؛ لأنهم متى استهانوا بالمؤمنين قهروهم . قال تعالى: ﴿إِنْ

التي كثرت لكثرة جرائمهم.
 ١٠. وصف الله لوطا ومن آمن به من أهل بيته بالشكر. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٢﴾ نِعْمَةٌ مِنَّا مِنَّا عِنْدَنَا ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٤﴾﴾ وقد يتساءل البعض ويقول: أي شكرٍ وقد ابتلوا بأرذل قوم، قوم لوط الذين جمعوا بين الكفر والفسوق والعصيان والانحلال والتبجح والدناءة وسائر ما يعد من مساوئ الأخلاق؟ لكن أقول: إن أمر المؤمن كله خير فهو بين الصبر والشكر، يحمد الله تعالى على الضراء، كما يحمده على السراء، يشكره تعالى في زمان الفتن وأوقات المحن كما يشكره في سائر الأوقات، يستنشق نسيم النعم ويتذوق حلاوة الهداية ويعتز بالحق ويستعصم بالعفاف والطهر، سيما إذا رأى المجتمع من حوله يتردى في ظلمات الكفر، أو يتمرغ في أحوال الرذيلة، أو يكتوي بلهب المعاصي، ويتقلب على جمرها الحار، فيحمد الله تعالى على أن هداه وعصمه وطهره ونجاه من حمأة الرذيلة، فيشعر بجنة الرضا وبرد اليقين وحلاوة الإيمان، ولذة الطاعات، فهلاك الظالمين ونجاة المتقين نعمة من الله تعالى تستوجب

وقد أصابها الكبر فبدل قوتها ضعفا وهوانا وشبابها شيئا، فكان بلوغها الكبر: من أبلغ النذر، ومن أعظم العبر. ومنطق الحق يقول: إن الإنسان كلما كبر سنه كلما نضج عقله وصفا ذهنه وجادت قريحته وزادت خبرته وفراسته، ولكن امرأة لوط تلك العجوز على التقيض من ذلك فهي ما زادتها أحداث الليالي وتتابع الأعوام إلا غفلة على غفلة وضلالا على ضلال.
 ٩. كما يعاقب الكافر على جميع جرائمه، وفي مقدمتها الكفر وهو أكبر الذنوب، فإنه يعاقب على سائر الذنوب كبيرها وصغيرها. التناسب بين الجريمة والعقاب؛ فقوم لوط كانوا يحذفون عابري السبيل بالحجارة فأيهم أصابه استأثر به واعتدى عليه، وقد انقلبوا وتمردوا على الفطرة السليمة والطبيعة المستقيمة، فصار الشذوذ عندهم معروفا ومألوفا وصارت الفاحشة عندهم حقا مشروعًا، وصار الطهر والعفاف جريمة يؤاخذ بها أصحابها، فكان الجزاء من جنس العمل، قلب الله قراهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من جهنم، وسلط عليهم الريح، ترجمهم بالحجارة، وأخذتهم الصيحة وغير ذلك من ألوان العذاب

الشكر.

١١. سنن الله تعالى ثابتة لا تتغير فهؤلاء قوم لوط توعدهم بإخراجه من قريته؛ لأنه كان ينكر عليهم عبثهم ومجونهم وقد جاءهم بالحق ولكنهم كانوا كارهين له، ونبينا صلى الله عليه وسلم أخرجه قومه؛ لأنه جاءهم بالتوحيد ومكارم الأخلاق ونقض ما كان عليه أهل الجاهلية من كفر وطغيان، وقد روت عائشة رضي الله عنها في حديث كيف كان بدء الوحي؟: (فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو مخرجي هم)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا^(١).

١٢. ذم اللواط وعقوبة فاعله: اللواط من أكبر الفواحش، ومن أفحش الكبائر،

وهو مرض خطير وشر مستطير وجرم كبير، عاقبته وخيمة ونهايته مفرعة مفرجة أليمة، وهو شذوذ وانحراف، وفسوق وإسراف وضلال وانحلال، ومذلة للرجال؛ لأنه يقتل فيهم الرجولة والمروءة والشهامة، ويصيروا بارتكابه مختشين معقدين أذلاء صاغرين، في حالة قلق واضطراب. واللواط مفسدة للنساء؛ إذ ينصرف الرجال عنهن، وقد تلجأ المرأة إلى الزنا لإشباع رغبتها وقد تلجأ إلى السحاق، كما روي أن نساء قوم لوط فعلن ذلك حين انشغل الرجال عنهن بالرجال، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إنما حق القول على قوم لوط حين اشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء)^(٢). واللواط جناية على الفطرة السليمة ومفسدة للشباب، حيث ينصرفون عن الزواج الحلال وينغمسون في أحوال تلك الفاحشة، كما يترتب على اللواط قلة النسل بسبب الانصراف عن الزواج، وبذلك تتقوض أركان الأسرة وينفرط عقد المجتمع وتنهار الحضارات، فاللواط عامل كبير من عوامل الفساد، ومعول ثقيل من معاول الهدم للنفس والمجتمع، وهو سبب أساسي في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١/١٣٩، رقم ٢٥٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢١/٢٤.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم ويأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بينهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم^(١). فالأمراض الجنسية السالفة الذكر عقوبة إلهية للزناة واللواطيين الذين تعدوا حدود الله وانتهكوا محارمه. انتشار اللواط في المجتمعات الكافرة: وما يؤسف له أن اللواط قد انتشر انتشارًا واسعًا في المجتمعات الكافرة، مع كثرة النساء وانتشار البغاء، ففي الدول الغربية قوانين وتشريعات تبيح اللواط وتشجع عليه طالما كان بين بالغين دون إكراه. وفي دائرة المعارف البريطانية^(٢) أن الشواذ جنسيا خرجوا من دائرة السرية إلى العلنية وأصبح لهم متدياتهم - نوادي العرى - وحدائقهم، ومراحيضهم الخاصة بهم، وتعرف الشرطة هذه الأماكن وتقوم على حمايتها ورعايتها. وهناك آلاف الجمعيات في الغرب ترعى شؤون الشواذ جنسيًا وتطالب لهم بمزيد من الحقوق، ولقد أصبحوا

انتشار كثير من الأمراض الفتاكة المزمنة كالزهري والسلان والهريس، ومرض الايدز الذي لم يعرف إلا سنة ١٩٨١م، ومن ذلك الحين وحتى وقتنا هذا لم يعرف له علاج رغم التقدم العلمي الكبير.

١٣. في استئصال قرى قوم لوط إشارة إلى أن المريض بهذا الشذوذ إن لم يتب فلا بدليل عن استئصاله من المجتمع .

١٤. ربط العلماء بين جعل قرى قوم لوط عاليها سافلها ليظمروا في التراب، وبين ضرورة دفن المصابين بالإيدز بعد موتهم، حيث يوصى بحرق الجثة وطمرها في التراب على أعماق بعيدة لأن مرض الإيدز يتقل عن طريق دم المريض ولعابه ومنه. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (يا معشر المهاجرين! خصالًا خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا،

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم ٤٠١٩، ٢/١٣٣٢.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١٣٢١/٢، رقم ٧٩٧٨.

(٢) دائرة المعارف البريطانية ٦/١٢.

قوة لا يستهان بها، وورقة رابحة ناجحة في الانتخابات العامة والرئاسية، ولقد وجدنا كبار الساسة والقادة يخطبون ود الشواذ ويفرقونهم بالوعود إن هم وقفوا بجانبهم في حملاتهم الانتخابية، فإذا حقق هؤلاء الساسة والقادة بغيتهم وفازوا بالمناصب فإنهم يسارعون إلى تحقيق ما وعدوا به من تنازلات للشواذ جنسيًا، ولو نظرنا على سبيل المثال للحملات الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية لوجدنا كيف يتبارى المرشحون ويتنافسون على كسب أصوات الشواذ، بل إن نسبة كبيرة من الشواذ تتبوأ مقاعد حساسة ومناصب هامة في الحكومات الغربية بل وفي الجيوش، وفي أمريكا وأوروبا كنائس مخصصة للشواذ يباح فيها للرجل أن يتزوج بالرجل، وللمرأة أن تتزوج من المرأة، بل إن بعض الجامعات في الولايات المتحدة تخصص منحًا دراسية للشواذ فقط، ومن هذه الجامعات جامعة سير جورج وليامز، ولا يمكن للطلاب أن يحصل على منحة بتلك الجامعات إلا إذا ثبت أنه شاذ جنسيًا. وفي إحدى المجلات الصادرة في إنجلترا والخاصة باللوطيين نجد هجومًا متتابعًا على

موقف الكنيسة من الشذوذ ولقد قام أحد الكرادلة بالرد على هذا الهجوم فقال: إن الكنيسة البروتستانتية هي في حالة مخاض الآن، وأنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي وأنه شخصيًا يرى أنه أمر عادي مألوف، ولا مانع في نظره من أن يصبح الشاذ قسيسًا. وفي اجتماع مجلس الكنائس الإنجليزية وافق المجلس بأغلبية الأصوات على إباحة الشذوذ الجنسي بشرط حدوثة بين البالغين مختارين، وكان كبير الأساقفة في كاتربري هو الذي قاد الحملة التي تهدف إلى إباحة الشذوذ، ولقد صرح قائلاً: «إنه يشعر بالقلق لما يصيب الشخص المصاب بالشذوذ الجنسي من ظلم القانون، في حين يستطيع أي شخص آخر أن يدمر أسرة ويشردها بدون عقاب يوقع عليه». فأى منطق هذا وأي عدالة يسعى إليها كبير الأساقفة!! إن كلامه هذا يعنى أنه يجب إباحة كل الجرائم وعدم توقيع العقاب على مرتكبيها طالما أن هناك من يتمكنون من الإفلات بجرائمهم! ولقد ذكرت إحدى الإحصائيات أن نسبة كبيرة من القساوسة في إنجلترا شواذ جنسيًا^(١). ومجمل القول فيما

(١) انظر: مجلة المجتمع الكويتية، سنة ١٣ عدد

ذلك أن يرغبهم في الحلال الطيب
ويعرفهم عن الفاحشة، وأن يردهم
إلى الفطرة السليمة والطبيعة المستقيمة
ويعدهم عن الشذوذ والانحراف، وأن
ينقلهم من مستنقعات الرذائل وذنس
الفواحش، ويأخذ بأيديهم إلى واحة
الطهر والعفاف، والزواج هو الحصن
الحصين من جميع الانحرافات
الجنسية، فإذا قبلوا وتزوجوا من بنات
لوط عليه السلام كان الزواج الحلال
الطيب سنة ماضية في سائر القوم
وبذلك ينصرف الجميع عن الفاحشة.

١٦. تعاطي المحرمات عدواناً وانحرافاً
وجهلاً وإسرافاً.

١٧. ذم المرء بالباطل، بل يجدر بالمؤمن
ترك المرء ولو كان محققاً.

١٨. أسلوب لوط عليه السلام في دعوة قومه
يجلو لنا حكمته وفطنته وأدبه وبلاغته،
حيث براعة الاستهلال، والإيجاز
والبيان، والبساطة والوضوح، وتقديم
الأهم، وحسن التشويق ودقة الوصف،
وبلاغة الإنكار والتنفير.

١٩. أثنى الله تعالى على من آمن بلوط عليه
السلام ولم يؤمن به إلا أهل بيته ولم
يذكر القرآن سوى بناته، ولقد وصف
الله أهل بيته بالإسلام والإيمان، وأثنى
على شكرهم ووصفهن لوط بالطهر بل

سبق: أن الزنا واللواط قد انتشر في
المجتمعات الغربية المنحلة كانتشار
النار في الهشيم وما ذلك إلا بسبب
بعدهم وضلالهم عن الحق، وترفعهم
وإسرافهم، واستغلالهم التقدم العلمي
الهائل والغنى المادي الفاحش في
إشباع الشهوات والنزوات. يقول
الأستاذ فتحي يكن: «إن انحراف التربية
وانعدام الحس الديني، وفساد الأخلاق
من شأنها جميعاً أن تهيج الأجواء
والمناخات المناسبة للانحراف
والشذوذ، وإن الفراغ والترف وتميع
مواقف القوانين الوضعية من الجرائم
الأخلاقية والجنسية من الأسباب
الرئيسية الكامنة وراء ظاهرة الشذوذ
الجنسي»^(١).

١٥. الحلال هو الطيب الذي يتلاءم مع
الفطرة بينما الحرام هو الخبيث
الذي يجافي الفطرة وينافي الذوق
وتعافه النفوس السوية وتآباه القلوب
السليمة، وأبواب الحلال كثيرة
وواسعة وميسورة، والزواج حصن
للشباب وعصمة من الانحراف، هذا
لوط عليه السلام عرض بناته على
قومه عرضاً حقيقياً، ومقصده من

وصف قوم لوط آل بيته بالطهر، وفي جمعهم بين الإيمان والإسلام والطهر والشكر أبلغ رد على مفتريات اليهود في العهد القديم واتهامهم لبنات لوط بأبشع التهم وهن المؤمنات الطاهرات الشاكرات الناجيات. قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿فَأَنزَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣١-٣٦].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا كَانُوا مِنْ قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ قَالَ أَرْجُوا أَلَ لُوطٍ مِنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَلِقُونَ﴾ [النمل: ٥٦]. وقال عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي ﴿٣٣﴾ إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا أَلَ أَلَ لُوطٍ يَجِيْتُهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ تَعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «إغاثة اللفهان»: قد وسم الله سبحانه الشرك والزنى واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه، دون سائر الذنوب، وإن كان مشتملاً على ذلك، لكن الذي وقع في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

٢٠. وقوله تعالى في حق اللوطية: ﴿وَلُوطًا ءَأَنبَنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَيَجِيْتُهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا قَسِيْبِيْنَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقالت اللوطية: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَلِقُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

فأقروا مع شركهم وكفرهم، أنهم هم الأخبات الأنجاس، وأن لوطاً وآله مطهرون من ذلك

باجتنابهم له. وقال تعالى في حق الزناة: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُ اللَّحِيْبِيْنَ وَالْحَيْثُوْبُ

لِلْحَيْثِيْبِ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦]. وأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة،

ونجاسة مخففة. فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل،

فإن الله عز وجل لا يغفر أن يشرك به، والمخففة: الشرك الأصغر، كسير

الرياء، والتصنع للمخلوقات والحلف به، وخوفه ورجائه. ثم قال: ونجاسة

الزنى واللواط أغلظ من غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب،

وتضعف توحيده جداً. ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاً،

فكلما كان الشرك في العبد أغلب، كانت هذه النجاسة والخبائث فيه

أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصاً، كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

٢٤. وكما قال تعالى عن يوسف

أحكام متعلقة بالقصة

أولاً: عقوبة اللواط في الشريعة الإسلامية:

اختلف الفقهاء في عقوبة اللوطي، وذلك على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: وهو مذهب الإمام مالك والإمام أحمد وقول للشافعي وهو أن حد اللوطي القتل فاعلاً كان أو مفعولاً، محصناً كان أو غير محصن، وهذا القول مروى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم ونقل بعض الحنابلة إجماع الصحابة على ذلك^(١).

واستدل أصحاب هذا الرأي بما يلي:

١- الحديث الذي رواه الخمسة إلا النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول)^(٢).

٢- كما استدل أصحاب هذا المذهب بما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: المغني، ابن قدامة ٨/ ١٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، رقم ٤٤٣٨، والترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوط، رقم ١٤٥٦، ٤٧/٤. قال الترمذي: حديث حسن.

وصححه ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٢٩.

فسألهم عن رجل ينكح كما تنكح النساء فكان أشدهم يومئذ قولاً على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم، نرى أن نحرقه بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يحرق بالنار من فعل هذا الفعل^(٣).

قال ابن القيم في زاد المعاد: «ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قضى في اللواط بشيء؛ لأن هذا لم يكن معروفاً عند العرب ولم يرفع إليه صلى الله عليه وسلم ولكنه ثبت عنه أنه قال: (اقتلوا الفاعل والمفعول به) رواه أهل السنة الأربعة وإسناده صحيح وقال الترمذي: حديث حسن، وحكم به أبو بكر الصديق وكتب به إلى خالد بن الوليد بعد مشاورة الصحابة وكان على رضي الله عنه أشدهم في ذلك. وقال ابن القصار وشيخنا: أجمعت الصحابة على قتله، وإنما اختلفوا في كيفية قتله، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يرمى من شاهق. وقال على رضي الله عنه: يهدم عليه حائط، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقتلان بالحجارة. فهذا اتفاق منهم على قتله وإن اختلفوا في كيفية^(٤).

أقول وورد عن علي كما ذكرنا آنفاً أنه

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي ٨/ ٢٣٢.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٢٩.

أمر بحرق من فعل هذا الفعل، وإنما ذكر الصحابة الكرام هذه الكيفيات المختلفة؛ لأن الله تعالى عذب قوم لوط بصنوف مختلفة من العذاب .

المذهب الثاني: أن اللواط في حكم الزنا، يرمج المحصن ويجلد غير المحصن فاعلا كان أو مفعولا، وهذا هو مذهب الشافعية، وقد استدلوا على مذهبه بالنص والمعقول .

أما النص: فالحديث الذي رواه البيهقي في السنن والطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان) (١).

وأما المعقول: فلقد قالوا إن الزنا عبارة عن إيلاج فرج في فرج مشتى طبعاً محرماً شرعاً، والدبر أيضاً فرج لأن القبل إنما سمي فرجاً لما فيه من الانفراج، وهذا المعنى حاصل في الدبر فيكون حكم اللواط كحكم

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحدود باب ما جاء في اللوطي، ٢٣٣/٨. قال الحفاظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٥٥/٤ بعد أن عزه لبيهقي: وفيه محمد بن عبد الرحمن القشيري، كذبه أبو حاتم، وأخرجه أبو الفتح الأزدي في الضعفاء، والطبراني في الكبير من وجه آخر عن أبي موسى وفيه بشر بن الفضل الجلي وهو مجهول.

الزنا (٢) .

المذهب الثالث: وهو مذهب الأحناف (٣): الذين قالوا بأن في اللواط التعزير، إذ أن اللواط غير الزنا، فاللواط يقع بين الرجل والرجل، أما الزنا فهو اسم لوطء الرجل للمرأة التي لا تحل له، والزنا تشتهيه النفس ويميل إليه الطبع، أما اللواط فإن الطباع السليمة والفطرة المستقيمة تأباه وتستعجنه وتستقذره، والزنا أعظم ضرراً لما يترتب عليه من فساد الأنساب .

والذي أرجحه في هذه المسألة أن اللوطي يقتل محصناً كان أو غير محصن، فاعلا كان أو مفعولا به، وهذا هو مذهب الإمام مالك وأحمد وقول للشافعي وهو المروي عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث الذي استندوا إليه (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن القيم: حديث صحيح، وقال الترمذي: حديث حسن، وقال الشوكاني معلقاً على روايات الحديث:

وهي بمجموعها تنهض للاحتجاج بها، أما الحديث الذي استدلل به الشافعية (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان وإذا أتت المرأة

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٣٢/٢٣، آيات الأحكام، السائيس ١١٤/٣، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني ٤٣/٢.
(٣) انظر: بدائع الصنائع، الكاساني ٤٥/٧.

العذاب بكرهم وثيبهم» (١).

ثانياً: حرمة إتيان النساء في أدبارهن:

قال تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُنْقَلَبُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وفي هذه الآية بيان لحرمة إتيان النساء في أدبارهن؛ لما في ذلك من الأذى والضرر وسبب نزول هذه الآية الكريمة ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: «كانت اليهود تقول: من أتى امرأته في قبلها من دبرها كان الولد أحول فنزلت: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾» (٢).

فإتيان المرأة في دبرها فإنه أمر تنفر منه النفوس وتأباه العقول، وهو مخالف للطبيعة السليمة والفترة المستقيمة، ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: موضع حرث، وفي هذا إشارة إلى أن موضع الجماع هو الحرث وهو الفرج؛ لأنه موضع الولد كما أن الأرض موضع الزرع.

فالمرأة كالأرض والنطفة كالبذرة والولد كالنبات ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم، يباح لكم الاستمتاع بالنساء، وإتيانهن

المرأة فهما زانيتان) فهو حديث ضعيف الإسناد كما ذكرنا في تخريجنا له، وعلى فرض صحته فإنه لا يصرح بأن حكم اللواط هو حكم الزنا، وإنما يفيد الترهيب من اللواط وأنه محرم وكبيرة من الكبائر كالزنا. يقول الإمام الشوكاني: «واحتجوا بأن

اللطواط نوع من أنواع الزنا، إيلاج فرج في فرج؛ فيكون اللواط والمملوط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة في الزاني المحصن والبكر، ويؤيد ذلك حديث (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيتان) وعلى فرض عدم شمول الأدلة المذكورة لهما فهما لاحقان بالزاني بالقياس، ويجب عن ذلك بأن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً مخصصة لعموم أدلة الزنا الفارقة بين البكر والثيب على فرض شمولها للوطي ومبذلة للقياس المذكور على فرض عدم الشمول؛ لأنه يصير فاسد الاعتبار كما تقرر في علم الأصول، وما أحق مرتكب هذه الجريمة ومقارن هذه الرذيلة أن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين ويعذب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتى فاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يصلى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابها لعقوبتهم، وقد خسف الله بهم واستأصل بذلك

(١) نيل الأوطار ٧/ ١١٨ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)، رقم ٤٥٢٨.

في موضع الحرث مقبلات كن أو مدبرات. ومن الأضرار الناتجة عن إتيان النساء في أدبارهن: تهتك الشرج والمستقيم وعدم التحكم في الغائط، لذلك فإنه معرض للنزول بصورة لا إرادية، هذا إلى جانب ما ينتج عن هذا الفعل القبيح من عقد نفسية للرجل والمرأة ومن تنافر وتباغض بينهما، بالإضافة إلى الانصراف عن موضع الحرث كما أنه لا يشبع الرغبة الجنسية للمرأة والرجل، ويفتح الباب إلى الزنا، وهذا الفعل القبيح يساعد على نقل الأمراض الجنسية التي سبق الإشارة إليها^(١).

موضوعات ذات صلة:

إبراهيم عليه السلام، العذاب، الفواحش، النبوة، النساء

(١) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز ص ٤٧.